العصوي مرسلا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال
ما خلقت خلقا احب الي منك بك اخذ وبك اعطي واخرجه داود بن المحبر في كتاب
العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر والوارد في اول ما خلق
الله القلم وهو اثبت من حديث العقل قال الشيخ احمد عن قرة بن اياس المزني
ان نعم الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف
في ماهية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه وفي القاموس وامن حظ
مولته نقلت العقل العلم او بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها
او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين
القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات يستتب بها الاغراض
والمصالح ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلماته والحق انه نور روحاني به
تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان
الولد ثم لا يزال ينمو الي ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم
من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه
عظيمة وخصايصه جسيمة حارت العقول في بعض بعض ما افاضه من
غيبه لديه وكلت الافكار في بعض معروف ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطي ذلك
وقد امتلا قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من اسرار الهيبة ومعرفة
ربوبيته وتحقق عبوديته قال وهب ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الي انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمل من جميع رمال — العقل
الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم
في الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف اللب والعقل
مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المومنين ثم
ومن حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحوش الشارد والطبع المتنافر المتباعد — تامل
وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الي ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا
دونه اهليهم واباهم وابناهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحبابهم
من غير ممارسة سلفت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق انه
اعقل العالمين ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام اوسع العقول لا جرم اتسعت
اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شي فمن ذلك اتساع حلمه العظيم
في الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه الصلاة والسلام على ما يكره وحسبك صبره — بلغ
وعفوه عليه الصلاة والسلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في اشد
ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى

صار

١٧٨

صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي واهد قومي
فانهم لا يعلمون قال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعا لهم بالمغفرة
مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب لاسلموا كلهم لما قال رحمه الله وقد روي
عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وها هنا دقيقة وهي انه عليه الصلاة والسلام لما شج وجهه
عفا وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املا بطونهم
نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه
دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه واعلم ان الصبر على
الاذي جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التالم بما يفعل بها ولهذا اشتق
عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الي الجور في القسمة لكنه عليه الصلاة والسلام
حلم على القايل وصبر على ما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يأجره بغير حساب
وصبره عليه الصلاة والسلام على الاذي انما هو فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله
فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الي ان ذلك
كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما
يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد روى الطبراني وابن حبان
والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به
عبد الغني وذكره الدارقطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفا وصحح عليه
مولفه بخطه وهو الذي ذكره ابن اسحق وهو كما قاله النووي اجل احبار
اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شي الا وقد عرفته
في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه
وجهله فابتعت منه تمرا الي اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين
او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ
ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال — مطل بصيغة الجمع
عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا
ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
الي عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الي غير هذا منك يا عمر